البحث الخامس

دور الانسان في المحافظة على البيئة في التراث العربي الاسلامي

أ.د. زكية حسن ابراهيم

The human role in preserving the environment in the Arab Islamic heritage

Prof. Zakia Hassan Ibrahim, PHD

University of Baghdad / College of Arts – Department of History

zakiahassn@coart.uobaghdad.edu.iq

دور الانسان في المحافظة على البيئة في التراث العربي الاسلامي

الاستاذ الدكتور زكية حسن ابراهيم

جامعة بغداد / كلية الآداب – قسم التاريخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون بدقه بالغة، وإتقان وبقدر معلوم وأبدع سبحانه وتعالى في خلقه، وأحسن تشكيله وتنظيمه قال تعالى: ((وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)) (سورة النمل: الآية ٨٨)، وقال تبارك وتعالى: ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) (سورة القمر: الآية ٤٩)، كما أنه سبحانه تعالى خلق الإنسان واستخلافه في الأرض لإعمارها والمحافظة عليها، وليس للإفساد قال تعالى: ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)) (سورة البقرة: الآية ٣٠) وقال سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) (سورة البقرة: الآية ٦٠).

وعليه يعد الانسان عاملاً حيوياً في إحداث التغيير البيئي فمنذ وجوده وهو يتعامل مع مكونات البيئة وكلما توالت الاعوام ازداد تحكما وسلطانا في البيئة ولاسيما بعد ان يسّر له التقدم العلمي والتكنلوجي مزيدا من فرص احداث التغيير في البيئة وفقا لازدياد حاجته الى الغذاء والكساء وغيرها.

لذا فان قطع الانسان اشجار الغابات وتحويل أراضيها الى مزارع ومصانع ومساكن ولجأ الى استخدام الاسمدة الكيميائية والمبيدات بمختلف انواعها وهذه كلها عوامل تؤدي الى الاخلال بتوازن نظم البيئة وبالتالي ينعكس أثرها سلبا على حياة الانسان وصحته وتلحق الضرر والفساد بكل ما يحيط به من ماء وهواء وتربة.

فموضوع بحثنا المعنون ((دور الانسان في المحافظة على البيئة في التراث العربي الاسلامي)) تضمن تعريف البيئة لغة واصطلاحا، ولفظ البيئة واستعمالاتها كما ورد

في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وانواع البيئة، وعلاقة الانسان بالبيئة ودوره في المحافظة عليها وانواع التلوث واهم الوسائل والوصايا التي أكد عليها الاسلام في المحافظة على البيئة وصحة الانسان وديمومة الحياة.

ومن الله العون والتوفيق

معنى البيئة: لغة واصطلاحا

لغة: لفظ البيئة اسم مشتق من الفعل الثلاثي باءْ وهذا الفعل يستخدم لمعان كثيرة أشهرها: النزول والإقامة بمكان معين، يقال: بوأ فلان بيتًا أو دارًا أي: اتخذ منزلا، ومنه قوله تعالى: ((وبوأكم في الأرض)) (سورة الاعراف: الآية ٧٤). والأصلُ في الباء المنْزل، ثم قيل لِعقْد التزويج باءةٌ؛ لأَن من تزوج امرأة بوأَها منزلا وبوأهم منْزلا: نزلَ بهم إِلى سَند جبل، وأَبأْت بالمكان: أَقمت به، وبوأْتك بيتًا: اتَّخذت لك بيتًا (ابن منظور، ١٩٥٥م، صفحة ١/٧٦). وقوله عز وجل ((أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا)) (سورة يونس: الآية ٨٧).

أَي: اتَّخذا. وأَباءه منْزلا وبوأَه إِياه وبوأَه له وبوأَه فيه بمعنى هيأَه له وأَنْزَله ومكَّن له فيه. قال الشاعر:

وبوئَتْ في صميم معشرها ... وَتم في قومها مبوؤُها.

(ابن منظور، ١٩٥٥م، صفحة ١/٣٦)

أَي نزَلت من الكرم في صميم النَّسب. والاسم البِيئة. (ابن منظور، ١٩٥٥م، صفحة ١/٣٦)

وجاء في لسان العرب لابن منظور ت٧١١هـ/١٣١١م: والبيئة والباءة والمباءة: المنزل، فقيل منزل القوم حيث يتبوأون من قبل وادٍ أو سند جبلٍ. (ابن منظور، ١٩٥٥م، صفحة ١/٣٦)

وفي تاج العروس: المباءة منزل القوم في كل موضع ويقال: كل منزل ينزله القوم قال طرفة بن العبد ت٥٦٩م:

طيبو الباءة، سهل ولهم سبل ان شئت في وحش ووعر

وتبوأ فلان منزلا أي اتخذه وبوأته منزلا وأبات القوم منزلا. (الزبيدي، صفحة ١/٣٠)

وأبات الإبل رددتها إلى المباءة، والمباءة بيتها في الجبل، هو المراح الذي تبتغيه، والمباءة

من الرحم: حيث تبوأ الولد، وباءت بيئة سوء على مثال بيعة أي بحال سوء، وانه لحسن البيئة، وعم بعضهم به جميع الحال. (الزبيدي، صفحة ١/ ٣٠)

وجاء في شرح ديباجة القاموس: وبوأه منزلا وفيه انزله كأباءه، والاسم البيئة بالكسر، والمكان حله وأقام، كأباء به وتبوأ، والمباءة المنزل كالبيئة والبيئة بالكسر.. الحالة. (الهورينـي، صفحة ٩)

اصطلاحًا: يعرف النظام البيئي بأنه: تفاعل مجموعة الجماعات الحية التي تعيش في منطقة بيئية محددة بعضها مع بعض ومع العوامل غير الحية.

فالبيئة هي المكان الذي تتوافر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن حي، أو مجموعة كائنات حية. وهي أيضا كل شيء يحيط بالإنسان من ماء وهواء وطعام وارض. (الديسي، ١٩٩٧م، صفحة ٧)

والمقصود بالبيئة: كل ما يحيط بالكائن من ظروف وعوامل تؤثر فيه، فالكائن الحي لا يستطيع أن يعيش إلا إذا حصل على مقومات حياته من البيئة، فما يحصل عليه الكائن الحي من غذاء وهواء ومسكن إلا غير ذلك فإنما هو جانب من البيئة يستخدمه بما عنده من صفات الحياة وخصائصها، لكي يجعل هذه الحياة ممكنه لنفسه ولنوعه وكلما كانت البيئة غنية بما فيها من هذه المقومات، أمن لهذا الكائن أن يستفيد مما يتاح له من الفرص كي يحيا حياة تتناسب مع هذا الغنى في البيئة. (رمضان و اخرون، ١٩٦٤م، صفحة ١٠٨)

مفهوم علم البيئة: هو العلم الذي يبحث أو يدرس العلاقة والتفاعلات المشتركة التي تحدث بين الكائنات الحية المختلفة، ومع المحيط الخارجي الذي تعيش فيه. (الديسي، ١٩٩٧م، صفحة ٨٠)

البيئة ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولا: البيئة في القرآن الكريم

ومما لا شك فيه أن كل دين من الأديان يرسم لأبنائه ويحدد لهم البيئة التي من خلالها يستطيعون الوصول إلى أهدافهم وتحقيق أمانيهم.

ويؤكد هذا المذهب ما نلاحظه من استعمالات لأصول كلمة البيئة في كل من الكتاب والسنة مع ربط ذلك بالسلوك والإيمان الذي يُعدّ حالة من حالات الإنسان الدنيوية تقابلها حالة الكفر والفسوق، ومن هذه الاستعمالات الآيات الآتية:

١- قوله تعالى ((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ

سُـهُولِهَا قُصُـورًا وَتَنْحِتُـونَ الْجِبَـالَ بُيُوتًـا فَاذْكُـرُوا آَلَاءَ اللَّـهِ وَلَا تَعْثَـوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِـدِينَ)) (سـورة الاعـراف: الآيـة ٧٤).

أي إن اللـه جعـل ارض الحجـر التـي هـي ارض عـاد مبـاءة ومنـزلا ثـم بـيّن كيفيـة اتخـاذ تلـك المبـاءة والمنـزل فذكـر القصـور المشـيّدة عـلى ظهـر الأرض السـهلة المنبسـطة ثـم ذكـر البيـوت المتخـذة في الجبـال بالنحـت ونجـر الحجـارة التـي تتكـون منهـا الجبـال.

٢- قولـه تعـالى ((وَلَقَـدْ بَوَّأْنَـا بَنِـي إِسْرَائِيـلَ مُبَـوَّأَ صِـدْقٍ وَرَزَقْنَاهُـمْ مِـنَ الطَّيِّبَـاتِ فَمَـا اخْتَلَفُـوا حَتَّـى جَاءَهُـمُ الْعِلْـمُ)) (سـورة يونـس: الآيـة ٩٣).

وذلـك ضمـن النعـم التـي يمـنُّ بهـا اللـه عـلى بنـي إسرائيـل حيـث أسـكنهم وأنزلهـم بعـد أن أنجاهـم واهلـك أعداءهـم منـزلا صالحـا مرضيـا مبـاركا، حيـث أورثهـم مشـارق الأرض ومغاربهـا التـي بـارك فيهـا عـز وجـل.

٣- وقولـه تعـالى ((وَإِذْ بَوَّأْنَـا لِإِبْرَاهِيـمَ مَـكَانَ الْبَيْـتِ أَنْ لَا تُـشْرِكْ بِـي شَـيْئًا وَطَهِّـرْ بَيْتِـيَ لِلطَّائِفِـينَ وَالْقَائِمِـينَ وَالرُّكَّـعِ السُّـجُودِ)) (سـورة الحـج: الآيـة ٢٦).

أي اذكـر وقـت جعلهـا مـكان البيـت مبـاءة لـه عليـه السـلام أي مرجعـا يرجـع إليـه للعمـارة والعبادة.

٤-قولـه تعـالى ((وَإِذْ غَـدَوْتَ مِـنْ أَهْلِـكَ تُبَـوِّئُ الْمُؤْمِنِـينَ مَقَاعِـدَ لِلْقِتَـالِ وَاللَّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيـمٌ)) (سـورة ال عمـران: الآيـة ١٢١).

أي تنزلهم وتهيئ لهم مقاعدهم وأماكنهم في الحرب.

٥- قولـه تعـالى ((وَالَّذِيـنَ هَاجَـرُوا فِي اللَّـهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا ظُلِمُـوا لَنُبَوِّئَنَّهُـمْ فِي الدُّنْيَـا حَسَـنَةً وَلَأَجْـرُ الْآَخِـرَةِ أَكْـبَرُ لَـوْ كَانُـوا يَعْلَمُـونَ)) (سـورة النحـل: الآيـة ٤١).

أي لننزلنهـم في الدنيـا منزلـة حسـنة وهـي الغلبـة عـلى مـن ظلمهـم مـن أهـل مكـة وعـلى العـرب قاطبـة وأهـل المـشرق والمغـرب كافـة وذلـك قليـل إذا مـا قـورن بمـا ينتظرهـم في الآخـرة.

٦- قولـه تعـالى في ((وَالَّذِيـنَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُـمْ مِـنَ الْجَنَّـةِ غُرَفًـا تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِدِيـنَ فِيهَـا نِعْـمَ أَجْـرُ الْعَامِلِـينَ)) (سـورة العنكبـوت: الآيـة ٥٨).

أي لننزلنهـم مـن الجنـة أعاليهـا وهـو الفـردوس الـذي وعـد اللـه بـه المؤمنـين وذلـك بسـبب مـا قدمـوا مـن الإعمـال الصالحـة.

٧- قولـه تعـالى ((وَالَّذِيـنَ تَبَـوَّءُوا الـدَّارَ وَالْإِيمَـانَ مِـنْ قَبْلِهِـمْ يُحِبُّـونَ مَـنْ هَاجَـرَ إِلَيْهِـمْ)) (سـورة الحـشر: الآيـة ٩).

أي أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن، وقيل تبوأوا دار الهجرة وأخلصوا الإيمان أو دار الهجرة ودار الإيمان وقد سمى المدينة بالإيمان لكونهما مظهره ومنشأه.

٨- قوله تعالى ((وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)) (سورة الزمر: الآية ٧٤).

أي ينزل كل واحد منا في أي مكان أراده من جنته الواسعة.

٩- قوله تعالى ((وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ)) (سورة يوسف: الآية ٥٦).

أي ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة له وهو عبارة عن كمال قدرته في التصرف.

١٠- قوله تعالى ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)) (سورة يونس: الآية ٨٧).

أي اتخذا مباءة ومنزلا ومحلا لقومكما تسكنون فيها وتجعلونها مكانا للعبادة.

ان المتفحص في هذه المعاني بمجموعها ليدرك إدراكا تاما إن البيئة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأرض والمكان وذلك متعلق بالأفعال التي من اجلها حسنت البيئة أو ساءت، وان الأمر غالبا حين تكون البيئة طيبه يوكل إلى سادة القوم وصلحائهم كما هو في التمكين لسيدنا يوسف ولموسى وهارون من بعده وللأنصار من أبناء امة محمد عليه الصلاة والسلام.

ثانيا: البيئة في السنة النبوية الشريفة

فقد جاء فيها ما يؤكد الذي ورد في كتاب الله عز وجل ومن ذلك حديثه عليه الصلاة والسلام الذي يتوعد فيمن كذب عليه متعمدا حيث قال: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (البخاري، صفحة ٤١) (مسلم، ٢٠٠١م، صفحة ٥) (البيهقي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٠/ ٣٧٤) أي لينزل منزلة من النار أو ليتخذ مباءة وهي المنزل ومنه بوأه الله وهو أمر بمعنى الخير.

كما ورد في مثل ذلك الوعيد فيمن قال في القرآن بغير علم؛ وذلك في حديثه عليه السلام الذي يقول فيه:» من قال في القرآن بغير علم فيتبوأ مقعده من النار». (البغوي، صفحة ٢٥)

أنواع البيئة ومكوناتها وعناصرها

يتفق العلماء في الوقت الحاضر على أن مفهوم البيئة يشمل جميع الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية وتؤثر في العمليات التي تقوم بها. فالبيئة بالنسبة للإنسان الإطار الذي يعيش فيه والذي يحتوي على التربة والماء والهواء وما يتضمنه كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة من مكونات جمادية، وكائنات تنبض بالحياة. وما يسود هذا الإطار من مظاهر شتى من طقس ومناخ ورياح وأمطار وجاذبية ومغناطيسية. الخ ومن علاقات متبادلة بين هذه العناصر.

فالحديث عن مفهوم البيئة إذن هو الحديث عن مكوناتها الطبيعية وعن الظروف والعوامل التي تعيش فيها الكائنات الحية.

وقد قسّم بعض الباحثين البيئة إلى عدة أقسام رئيسة (السحيباني، صفحة ٥٦) هي: -

١- البيئة الطبيعية: - وتتكون من أربعة نظم مترابطة ترابطا وثيقاً هي: الغلاف الجوي، الغلاف المائي، اليابسة، بما تشمله هذه الأنظمة من ماء وهواء وتربة ومعادن، ومصادر للطاقة زيادة على النباتات والحيوانات، وهذه جميعها تمثل الموارد التي اتاحها الله سبحانه وتعالى للإنسان كي يحصل منها على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى. وهي كل ما يحيط بالإنسان من عناصر أو معطيات حية أو غير حية وليس لإنسان أي دخل في وجودها مثل الصخور وموارد المياه وعناصر المناخ والتربة والنباتات والحيوانات البرية وغيرها.

والبيئة الطبيعية ذات تأثير مباشر أو غير مباشر في حياة أية جماعة حية من نبات أو حيوان أو إنسان.

٢ - البيئة الحضارية أو المشيّدة: وهي كل ما أضافه الإنسان من عناصر أو معطيات بيئية تمثل نتاج تفاعله واستغلاله لموارد البيئة الطبيعية ومن أمثلة هذه المعطيات العمران وطرق النقل والمواصلات والمزارع والمصانع وغيرها، فعلى الإنسان ألا يكتفي بمحاكاة الطبيعة فقط، بل يبتدع ويواكب الحضارة قال تعالى: ((عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) (سورة العلق: الاية٥).

كما أن عليه حماية البيئة من أي ملوثات والمحافظة عليها وتنميتها، وهذا واجب شخصي يلتزم به كل فرد بموجب مسئوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه كما أنها واجب اجتماعي عام.

وتتكون من البنية الأساسية المادية التي شيدها الإنسان ومن النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها، ومن ثم يمكن النظر إلى البيئة المشيدة من خلال الطريقة

التي نظمت بها المجتمعات حياتها، والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة الحاجات البشرية، وتشمل البيئة المشيّدة استعمالات الأراضي للزراعة والمناطق السكنية والتنقيب فيها عن الثروات الطبيعية وكذلك المناطق الصناعية والمراكز التجارية والمدارس والمعاهد والطرق...الخ.

والبيئة بشقيها الطبيعي والمشيد هي كل متكامل يشمل إطارها الكرة الأرضية، أو لنقل كوكب الحياة، وما يؤثر فيها من مكونات الكون الأخرى ومحتويات هذا الإطار ليست جامدة بل إنها دائمة التفاعل مؤثرة ومتأثرة والإنسان نفسه واحد من مكونات البيئة يتفاعل مع مكوناتها بما في ذلك أقرانه من البشر.

٣- البيئة البيولوجية: - وتشمل الإنسان «الفرد» وأسرته ومجتمعه، وكذلك الكائنات الحية في المحيط الحيوي وتعد البيئة البيولوجية جزءاً من البيئة الطبيعية.

٤-البيئة الاجتماعية: - ويقصد بالبيئة الاجتماعية ذلك الإطار من العلاقات الذي يحدد ماهية علاقة حياة الإنسان مع غيره، ذلك الإطار من العلاقات الذي هو الأساس في تنظيم أي جماعة من الجماعات سواء بين أفرادها بعضهم ببعض في بيئة ما، أو بين جماعات متباينة أو متشابهة معاً وحضارة في بيئات متباعدة، وتؤلف أنماط تلك العلاقات ما يعرف بالنظم الاجتماعية، واستحدث الإنسان خلال رحلة حياته الطويلة بيئة حضارية لكي تساعده في حياته فعمّر الأرض واخترق الأجواء لغزو الفضاء.

علاقة الانسان بالبيئة وكيفية المحافظة عليها:

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان في أحسن صوره خلقه للعبادة وكلفه بان يكون خليفة الله في الارض فهو مكلف باستثمارها والانتفاع بها وتسخيرها لخدمته. وتقتضي منه الأمانة المحافظة على ما فيها من موارد وخيرات. وادارتها بما يحقق المنفعة العامة وفي ذلك قال تعالى ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (سورة البقرة: الآية ٣٠). وقال تعالى ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (سورة الجاثية: الآية ١٣) فقد اعتبر القران الكريم ان ما في هذه الكون من ماء وهواء ونبات وحيوان وغيرها سُخرت وذللّت لخدمة الانسان ورعايته وبقائه فالأرض وما فيها من حيوان ونبات وماء سخرة لتحقيق هذا المقصد الرباني. قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ

لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)) (سورة لقمان: الآية ٢٠) وقال عز وجل ((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)) (سورة النحل: الآية ١٠) وقال تعالى ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)) (سورة ال عمران: الآية ١٤) وقال سبحانه وتعالى ((وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) (سورة النحل: الآية ٨) وقال ايضا ((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (سورة النحل: الآية ١٤) فهذه النعم الكثيرة والمتنوعة التي وردت في الآيات القرآنية هيه مخلوقه لراحة الانسان ومسخره لخدمته وبقائه فعليه ان يقوم بمهام الخلافة والأمانة التي حملها الله على اكمل وجه في الحفاظ عليها وصونها وحمايتها ويحرم عليه هدرها واتلافها بغير حق . وفي ذلك قال ابو زيد البلخي ت٣٢٢هـ/٩٣٣م ((حين وجد الانسان على سطح الأرض، فلا بد من بقائه فهو يحتاج الى موضع يستقر عليه، وينشأ به، وبحاجه الى ما ينبت من النبات ليتغذّى به، اذ لا بقاء له الا بالغذاء والى حظ من الهواء يتنسمه فيعيش به اذ لا حياة له الا بالتنفس والى حظ من الماء يقرنه الى طعامه فيعيش بهما فصارت حاجته الى هذه الاشياء الثلاثة والى الرابعة التي هي الحرارة الموجودة في الهواء وفي بدنه ضرورية لا يستغني عنها جميعا)) (احمد بن سهل، ٢٠٠٥م، صفحة ٣٥٠) وعليه يعد الانسان اهم عامل حيوي في احداث التغيير البيئي وتخريبها وتعطيل الحياة فيها. ولو استقام الانسان على شرع الله ومنهجه لصلح أمر الانسان وأمر بيئته وتجنبه كثير من المشكلات البيئية التي نعاني منها اليوم كاستنزاف مواردها وهدرها وتعطيلها. وكلما توالت الاعوام ازداد تحكما وسلطانا في بيئته وفقا لتزايد اعداده وازدياد حاجته الى الغذاء والكساء.

وتعامله غير المنظّم مع البيئة أحدث خللا في مكوناتها الطبيعية التي تشكل حلقات مترابطة يتأثر بعضها بالبعض الاخر. فقد اشار القران الكريم الى توازن البيئة بوضوح في أكثر من موضع قال تعالى ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) (سورة القمر: الآية ٤٩) وقال ايضا ((وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)) (سورة الحجر: الآية ١٩) وعليه فان الانسان يتأثر ببيئته ويؤثر فيها وقد وضع الرسول ((ص)) تصورا عظيما لحماية البيئة من العبث والفساد والتلوث وان ذلك من مسؤولية الجميع ٠ قال الرسول (ص)»

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» (البخاري، صفحة ٥١٥) هذه هي البيئة التي خلقها الله عز وجل وجعل ما فيها زينة ورحمه ولذه تخفيفا لبني آدم سواء كان ذلك في سمائها أو أرضها وقد اشارت الآيات الكريمة الى مأكل الانسان وملبسه ومراكبه وكلها طبيعية خاليه من الامراض والكيمياويات التي لأتأثر على صحة الانسان بالسوء، لذلك يتعين على الجميع حماية البيئة والمحافظة عليها لتؤدي دورها كما اراد الله تعالى. وقد حذر عزّ وجل من يسيئ اليها او يفسد فيها او يبدلها بالعقاب الشديد قال تعالى ((وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (سورة البقرة: الآية ٢١١) وقوله ((وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)) (سورة الاعراف: الآية ٥٦) ان هذه الآيات المارة الذكر توضح لنا اسباب التلوث والفساد في البيئة وان ذلك مرتبط اساسا بأهواء البشر ولو استقام الانسان على شرع الله ومنهجه؛ لأدى ذلك الى إصلاح البيئة والمحافظة عليها وتجنب الكثير من مشكلات البيئية. ومما لا شك فيه ان اي ضرر يحيق بمكونات البيئة سينعكس سلبا على الانسان نفسه وهكذا نجد ان القران الكريم تحدّث عن مشكلة تلوث البيئة قبل وقوعها بنحو ١٤ قرنا وأشار إشارة واضحة وصريحه الى انها ستكون نتيجة لما تصنعه يدي الانسان وبذلك تتحول مكونات البيئة او عناصرها من مفيدة الى عناصر ضاره مما يفقدها دورها في صنع الحياة

وعليه يمكن تعريف التلوث لغة بأنّه مأخوذ من مادة ((لَوَثَ)) يقال: لوث ثيابه بالطين، أي: لطخّها، ولوث الماء، أي: كدره. (ابن منظور، ١٩٥٥م، صفحة ٢/ ٨٥)

التلوث بالمفهوم الحديث: هو كل ما يؤثر في كل أو بعض عناصر البيئة. بما تشمل من (إنسان وحيوان ونبات) وكذلك كل ما يؤثر في تركيب العناصر الطبيعية غير الحية، مثل (الهواء والماء والتربة).

والتلوث هو تغير كمي أو كيفي يحدث في عناصر البيئة الحية وغير الحية ويؤثر في صفاتها الطبيعية ومكوناتها بدرجة تؤثر في الإنسان والحيوان والنبات، ومنه يؤثر أيضا على المباني والملابس. (ربيع و اخرون، ٢٠٠٧م، صفحة ٦٥١)

والتلوث البيئي أنواع كثيرة منها:

١- التلوث المائي:

الماء عنصر مهم في حياة الإنسان والحيوان والنبات، ولا يمكن تصور الحياة والحضارات على الأرض بدونه، قال تعالى ((وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)) (سورة الانبياء: الآية ٣٠).

فمنه يشرب الإنسان ويرعى الحيوان قال تعالى ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)) (سورة النحل: الآية ١٠).

وهو ضروري لري المزروعات وتربية الأسماك، قال تعالى ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)) (سورة السجدة: الآية ٢٧).

وتقوم عليه بعض الصناعات، وهو وسيلة ترفيهية في المتنزهات والحدائق، وهو عنصر مهم في إنتاج الطاقة الكهربائية وبما أن في الماء حياة الإنسان واستقراره فقد دعا الإسلام إلى المحافظة عليه بجميع أنواعه وأماكن وجوده في البحار والمحيطات والأنهار والعيون والبرك والآبار، فنهى عن الإسراف في استعماله خوفًا من هدره واستنزافه في غير مصلحة، قال تعالى ((كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)) (سورة الاعراف: الآية ٣١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: أن رسول الله (ص) مر بسعد وهو يتوضأ فقال:» ما هذا الإسراف «. فقال: أفي الوضوء إسراف قال:» نعم. وإن كنت على نهر جار» (ابن ماجه، صفحة ١٤٧/١). وعن ابن عباس قال» بت عند خالتي ميمونة، فقام النبي (ص) فتوضأ من شنة وضوءا يقّلله، فقمت فصنعت كما صنع». (ابن ماجه، صفحة ١٤٧/١)

وقد نهى الإسلام عن تلويث الماء بأي نوع من الملوثات الطبيعية كالتبول وإلقاء القاذورات فيه، أو الكيميائية كإلقاء النفايات الصناعية مما يسبب كثيرًا من الأمراض كالسرطان، أو الحيوية كالفيروسات والبكتيريا والطفيليات التي تسبب الأمراض المعدية والفتاكة للإنسان (ربيع و اخرون، ٢٠٠٧م، صفحة ٦٦٥). وقد يتسبب ذلك في تلويث الأسماك التي تخرج من البحر حيث أصبحت تحتوي على كميات من الملوثات في صورة مواد سامة (عبد الجواد، صفحة ٩٨).

ورّتب الإسلام على فعل ذلك عقوبات شديدة في الدنيا والآخرة، وتزخر شريعتنا الغراء بنصوص كثيرة تحث على حماية الماء من التلوث منها:

أ- عن أبي هريرة عن النبي (ص)) قال:» لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه» (البخاري، صفحة ٦٧).

ب- والسبب في تحريم التبول في الماء الراكد كما قال العلماء؛ لأنه ينجسه، ويتلف مائيته، ويغر غيره باستعماله (النووي، ١٣٩٢هـ، صفحة ٣/١٨٨).

ت- ومن المعلوم صحيًا لدى الإنسان أن هناك أمراضًا كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبول فيه، مثل البلهارسيا والكوليرا وغيرهما.

ث- عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله (ص) أن يبال في الماء الجاري (الطبراني، ١٤١٥هـ، صفحة ٢/٢٠٨).

والحكمة من هذا النهي هو المحافظة على نظافة الماء من التلوث بالطفيليات الضارة التي قد تكون مع البول.

ج- عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ص) « اتقوا الملاعن الثلاثة البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل» (ابو داود السجستاني، ١٩٨٨م، صفحة ١/٧).

والحديث يدل على تحريم قضاء الحاجة في موارد المياه أو طرق الناس أو ظلهم؛ لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذراه.

والمياه أنواع، منها:

١- ماء السماء ((وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به)) (سورة الانفال: الآية ١١).

٢- ماء النهر ((أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا)) (سورة النمل: الآية ٦١).

٣- ماء العيون ((وفجرنا الأرض عيونا....)) (سورة القمر: الآية ١٢).

٤- ماء البئر ((وبئرٍ معطَّلة وقصرٍ مَشيد)) (سورة الحج: الآية ٤٥).

٥- ماء البرد ((وينزل من السماء من جبالٍ فيها من بَرَد..)) (سورة النور: الآية ٤٣).

٦- ماء البحر ((وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً)) (سورة النحل: الآية ١٤).

وذكر المسعودي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م انواع المياه وفوائدها ومنافعها ومضارها للإنسان بقوله ((الماء العذب مغذ وان كان سخنا فان استعمل بقدر الحاجه اليه فانه ينقي الجسد وان استعمل اكثر مما يحتاج اليه فانه يرخي الاعضاء ويضعفها وان الماء البارد يشد الاعضاء ويقطع العطش وان الزيادة منه تخدر الجسد وتميته وان الماء الاجاج ينفع من سدد الكبد والطحال وان الماء الكبريتي ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة

... واما القاري فانه نافع من اوجاع الصلب والعصب... وماء البحر نافع من البرص ... وان اصح المياه للأجساد الابيض البراق الذي يخرج من جبال الطين من مشرق الشمس نحو مغربها)) (ابو الحسن علي بن الحسين، ٢٠٠٧م، صفحة ٢/ ٢٩) وعليه فان وجد الماء وجدت مظاهر الحياة

٢- التلوث الهوائي:

الهواء نعمة من نعم الله على الإنسان، لا يمكنه الاستغناء عنه أبدًا، وله فوائد كثيرة، فهو ضروري لكل كائن حي إنسانًا كان أو حيوانا أو نباتًا، ومن فوائده في الكون أنه يسوق السحاب من منطقة إلى أخرى، قال تعالى ((وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (سورة الاعراف: الآية ٥٧).

ومن فوائده أيضًا أنه يساعد في تلقيح النباتات قال تعالى ((وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)) (سورة الحجر: الآية ٢٢). والهواء هو الذي يسوق السفن في البحار والمحيطات بقدرة الله تعالى القائل ((وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ، إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)) (سورة الشورى: الآية ٣٢، ٣٣).

من الأسباب التي تؤدي إلى تلويث الهواء الإشعاعات النووية، واستخدام الأسلحة المحرمة والصناعات الكيماوية، والتدخين، وحرائق الغابات التي تنبعث منها غازات سامة، وكذلك المستنقعات التي تؤدي إلى انبعاث الكثير من غازات التحلل إلى الجو ، وعدم تشجير الأرض، فالأشجار تلعب دورًا مهمًا في توازن غازات الجو، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الجو عبر عملية التمثيل الضوئي، وكذلك الإسراف في استخدام وسائط النقل التي ينبعث منها أول أكسيد الكربون وسائر الملوثات السامة وهي مسئولة عن ٦٠٪ من تلويث الهواء. (ربيع و اخرون، ٢٠٠٧م، صفحة ٦٥١، ٦٥٢) وموقف الإسلام من تلويث الهواء والجو واضح لا لبس فيه ولا غموض، فهو يقرر أن الهواء نعمة من الله لكل شيء حي، وهذه النعمة يجب المحافظة عليها وصونها من كل ضرر، والأضرار بهذه النعمة يجب أن يقابل بالاستنكار الشديد والوقوف في وجه كل من يسهم في هذا الإضرار ومنعه من الاستمرار فيه فالحديث النبوي واضح في هذا الشأن وهو قاعدة شرعية يمكن تعميمها على كل حالة مماثلة، فعن عبادة بن الصامت أن

رسول الله (ص) قضى أن:» لا ضرر ولا ضرار» (ابن ماجه، صفحة ٢ / ٧٨٤). ومعناه: لا يجوز إلحاق الضرر بالآخرين سواء أكان هذا الضرر واقعًا في الحال أم متوقعًا وقوعه في المآل.

ولا شك في أن تلويث الهواء فيه أضرار كثيرة في الحال والمآل، فكان ذلك حرامًا ومنكرًا يجب تغييره.

وللحد من تلويث الهواء دعا الإسلام إلى تشجير الأرض وزراعتها؛ لأن الأشجار تلعب دورًا في توازن غازات الجو، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الجو عبر عملية التمثيل الضوئي، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): « ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (البخاري، صفحة ٤٨٠). وقد روى عن الامام علي بن ابي طالب (t) قال « شمو النرجس ولو في اليوم مرة واحدة ولو في الشهر مرة واحدة فان في القلب حبة من الجنون والبرص لا يقلعها الا شم النرجس» (ابن الجوزي، ١٩٦٨م، صفحة ١ /٢٦٨) وقال ابن حجر ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م في الحديث فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض. (ابن حجر العسقلاني، ١٣٧٩هـ، صفحة ٥ / ٤)

كما نهى الإسلام عن التدخين لما له من آثار سلبية على تلويث الهواء وإلحاق الضرر بالمدخن ومن حوله، فهو من الخبائث التي حرمها الله تعالى في قوله ((وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)) (سورة الاعراف: الآية ١٥٧). وذكر بعض الحكماء « ان خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع هواؤه، وعذب ماؤه، وقدر الوقاد وقوده بقدر مزاج من اراد وروده، ويبخر الحمام بالفحم واللبان في كل يوم مرتين لا سيما إذا شرع في كنسها وغسلها، ومتى بردت الحمام فينبغي ان يبخرها بالخزامي فانه يحمي هواءها ويطيب رائحتها، وفي ايام الشتاء يزيد في بخورها الميعة اليابسة، وتسد المنافس التي يدخل منها الدخان الذي يسمى الزنبور، فان ذلك مضرة لعيون الناس ورؤوسهم». (ابن بسام، ١٩٦٨م، صفحة ٣٢٩)

وأدرك العلماء العرب والمسلمين قيمة الهواء فذكروه في كتبهم ومؤلفاتهم وعالجوا فيها جميع ما يتعلق به من حيث أثره على الصحة العامة وجهاته وانواعه ومدى تأثير ذلك على صفاتهم. فقد اشار المسعودي في مروجه نقلا عن الحكيم ابقراط الى اثر الهواء على البيئة والانسان والحيوان والنبات قال ((ان تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مره الى الغضب ومره الى سكون والى الهم والسرور وغير ذلك واذا

استوت حالات الهواء استوت حالات الناس واخلاقهم وان قوى النفس تابعه لمزاجيات الابدان ومزاجات الابدان تابعه لتصرف الهواء ... واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شيء)) (ابو الحسن علي بن الحسين، ٢٠٠٧م، الصفحات ٢/ ٢٣٩ –٢٤٠) كما تناول في موضع اخر تأثير الرياح على جسم الانسان قال ((الجنوب ترخي الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقل في السماع وغشاوة في البصر ,اما الشمال فإنّها تصلب الابدان وتصح الأدمغة وتحسن اللون وتصفي الحواس ... غير انها تحرك السعال ووجع الصدر)) (ابو الحسن علي بن الحسين، ٢٠٠٧م، صفحة ٢/ ٢٤١) وقد وصف المجوسي ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م البيئة وتأثير الهواء الفاسد الملوث على صحة الانسان واتخاذ التدابير اللازمة للحفاظ على صحته ومعالجه العوامل التي تأثر عليها قال ((متى كان الهواء صافيا نيرا كانت الاخلاط والارواح صافية نيِّرة، ومتى كان الهواء راكدا ضبابيا كانت الاخلاط والارواح كدره خائره، واذا كان أمر كذلك فالطبيب مضطر الى ان يكون عارفا بحالات الهواء في كل وقت وفي كل موضع وبالأسباب التي تتغير عنها فان ذلك مما يحتاج اليه في تقدمه المعرفة بما يحدث من العلل والامراض في كل وقت من واوقات السنه وما يحدث في كل بلد من الامراض العامية والخاصية)) (علي بن العباس، ١٨٧٧م، صفحة ١/ ١٧٥). ومن الأطباء الذين تناولوا البيئة واثر الهواء على صحة الانسان الطبيب ابن رضوان ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م والتدابير اللازمة لإصلاح الهواء الفاسد قال» فان كان يابسا يرطب برش المياه, وان كان ساخنا يحرك بالمراوح , وان كان متحركا سكنته بالستور وغلق الابواب , اما اذا كان الهواء عفنا يجب ان يبرد بوقود الطرفاء والاثل والكرم» (علي، ١٩٨٨م، صفحة ٦٣) وخصص ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م فصلا عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهواء والاحتراز منها وقد لخص ذلك الفصل بقوله: «إنّ فساد الهواء جزءٌ من أجزاء السبب التام والعله الفاعلة للطاعون فان فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده ,يكون لاستحالة جوهره الى الرداءة لغلبة احدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسمية في اي وقت كان من اوقات السنه وان كان اكثر حدوثه في اواخر الصيف وفي الخريف غالبا لكثر اجتماع الفضلات المرارية الحاده وغيرها في فصل الصيف , وعدم تحللها في اخره , وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحل في زمن الصيف فتنحصر فتسخن وتعفن فتحدث الامراض العفنة ولاسيما اذا صادفت البدن مستعدا قابلا رهلا قليل الحركة كثير المواد فهذا لا يكاد يفلت من العطب» (شمس الدين، ٢٠٠٩م، صفحة ٣٨)

٣-التلوث الغذائي:

للغذاء أهمية كبيرة في حياة الإنسان حيث يحافظ على صحته، ويمد جسمه بالطاقة اللازمة لتصريف شؤونه وأعماله، كما يمد جسمه بالمناعة اللازمة ضد الأمراض والعلل، وغير ذلك من الفوائد. وهو نوعان:

الأول. الغذاء الحيواني:

وهو الغذاء المستمد من الحيوانات والطيور والأسماك من لحوم وبيض وألبان وزيوت وغير ذلك، وهذا الغذاء ضروري لنمو الجسم، وهو نعمة أنعمها الله علينا وأوجب علينا المحافظة عليها وعدم إهدارها وتلويثها بما يضر بمصالح الناس وأقواتهم وصحتهم.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين لنا فوائد هذه الحيوانات وتحثّ على الرفق بها ورعايتها والعناية بها وعدم ايذائها. ومن هذه الفوائد:

١- إنها مصدر أساسي لغذاء الإنسان وطعامه قال تعالى ((وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)) (سورة يس: الاية٧٢).

((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، ولحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)) (سورة النحل: الآية ١٤).

٢- إنها وسيلة للنقل والمواصلات وحمل الأثقال وللزينة قال تعالى ((وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (سورة النحل: الآية ٧، ٨).

٣- نهى الاسلام عن حرق الحيوان والتمثيل به واتخاذها وسيلة للتدريب برميها وهي حية وحبسها وغير ذلك روى عن ابن عباس (t) قال الرسول (ص) « لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا». (مسلم، ٢٠٠١م، صفحة ٦٠٥)

الثاني- الغذاء النباتي

وهو الغذاء المستمد من النباتات كالحبوب والفواكه والخضراوات وغير ذلك وهذه الأغذية ضرورية للجسم حيث تزوده بالعناصر الأساسية لنموه كالبروتينات والفيتامين والحديد وغير ذلك، وهذه نعم عظيمة من الله تعالى أمرنا بالعناية بها وعدم التعرض لها بما يلحق بها الضرر، فالإضرار بها تدمير للإنسانية، وإفساد للبيئة. وقد ذكرت الآيات القرآنية كثيرًا من فوائد النباتات في حياة الإنسان ومن هذه الفوائد ما يأتي:

١- النباتات مصدر مهم من مصادر الغذاء للإنسان والحيوان قال تعالى ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى، كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى)) (سورة طه: الآية ٥٣، ٥٤)، ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)) (سورة الانعام: الآية ١٤١)، ((وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)) (سورة النحل: الآية ١٠).

٢- وسيلة مهمة من وسائل إنتاج الطاقة والتدفئة قال تعالى ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)) (سورة يس: الآية ٨٠)،

٣- وقوله تعالى ((أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)) (سورة الواقعة: الآية ٧١، ٧٢).

٤- وسيلة للزينة والاستمتاع والراحة والاستضلال بها، قال تعالى ((وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (سورة الانعام: الآية٩٩).

٥- تعمل الأشجار على تلطيف الجو والمناخ وتخفيض درجات الحرارة وإنتاج الأوكسجين وامتصاص المركبات السامة، وتصّفي الهواء من الملوثات العالقة به كما قال سبحانه وتعالى ((وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا)) (سورة الكهف: الآية ٣٢).

٦- وقد نهى الرسول (ص) عن قطع الاشجار الا للضرورة قال « من قطع سدرة صوب الله راسه في النار» (ابن مفلح، ١٩٩٩م، صفحة ٣/٤٤٣).

وقد ثبت علميا أن درجات الحرارة في المناطق الخضراء المحيطة بالمدن تقل عنها داخل المدن، كما أن الظل الكثيف من النباتات والأشجار حول المباني يخفض درجات الحرارة (شحاته، ٢٠٠٦م، صفحة ٥٦).

وعليه فقد تعددت أسباب التلوث الغذائي، فبعض الأغذية تتلوث بسبب تلوث مياه البحار والأنهار والمحيطات الناتج عن إلقاء المواد الكيماوية السامة والغازات والنفايات فيها، وكذلك بسبب اختلاط مياه الصرف الصحي بالمياه العذبة، أو استخدام المبيدات الحشرية والأسمدة الكيميائية للنبات والحيوان، ويمكن أن تصل الغازات السامة والإشعاعات الضارة إثر الانفجارات الناتجة عن التجارب النووية، حيث تصل هذه

الإشعاعات إلى الإنسان عن طريق الأسماك والنباتات وسائر الأغذية فتلحق الضرر به. وتؤثر بعض الحشرات والحيوانات في تلوث غذاء الإنسان مثل القوارض والخنازير والكلاب والبعوض والجراد، وتسبب بعض الأمراض مثل الطاعون والملاريا والكوليرا، كما تضر بطعام الإنسان وشرابه وتضر بالنباتات والأشجار. (ربيع و اخرون، ٢٠٠٧م، صفحة ٦٧٨،٦٧٩)

وشرع الإسلام بعض التدابير والوسائل الوقائية والعلاجية كما يأتي:

١- نهى عن كل ما يؤدي إلى تلويث النبات والحيوان؛ لأن من شأن ذلك أن يتسبب في تلويث غذاء الإنسان وطعامه وشرابه، فلا يجوز إلقاء المواد السامة بجميع أنواعها في البحار، وكذلك مياه الصرف الصحي، ولا يجوز التبول وقضاء الحاجة في المياه وظلال الأشجار والطرق والشوارع، قال عليه الصلاة والسلام:» اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل».

٢- أمر بالتخلص من كل ما يسبب هذا التلوث الغذائي، فأمر بقتل الفأرة والعقرب والكلب العقور. (البخاري، صفحة ٣٨٢)

٣- نهى عن الإسراف في تناول الأطعمة والأشربة؛ لأن ذلك يؤدي إلى استنزافها وإهدارها، قال تعالى ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)) (سورة الانعام: الاية١٤١).

وقال ابن عباس:» كل ما شئت، والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة» (البخاري، صفحة ٢٦٤) وعن الإمام علي رضي الله عنه- قال:» كل هنيئًا وأنت مصلح غير مفسد، معمر غير مخرب» (شحاته، ٢٠٠٦م، صفحة ٢٠).

٤- أرشد الإنسان إلى طعامه وشرابه، فأحلّ له الغذاء الطيب، وحرم عليه كل ما يغير جسمه وعقله كالميتة والدم ولحم الخنزير؛ لأنها جميعًا من الخبائث، وثبت طبيًا أنها تسبب كثيرًا من الأمراض الفتاكة، كما حرم عليه شرب الخمر وإدمان المخدرات والتدخين بأنواعه. قال تعالى ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)) (سورة المائدة: الآية ٣).

وتناولت كتب الحسبة جوانب متعددة تخص الحفاظ عل البيئة ولا سيما ما يخص الغذاء ونوعيته؛ لان ذلك اصح للإنسان وبقائه وأكدوا على توفير الغذاء للإنسان في

كل الاوقات ولا سيما ايام القحط والازمات ومنع الاحتكار ورفع الأسعار (ابن بسام، ١٩٦٨م، صفحة ٣٦٥). وفصل المسبحي ت ٤٠١هـ/ ١٠١٠م في الغذاء الذي يحتاجه الانسان وانواعه وموافقته للإنسان « الغذاء الغليظ يوافق صاحب المعدة الحارة» (ابو سهل، صفحة رقم ٥١٤١ الورقة ٤٩ أ)

٤- التلوث الضوضائي: (الصوتي أو الضجيجي)

ويمكن أن نتحدث عن نوع من التلوث يعيش معه الإنسان قهرًا، وهو الناشئ عن الصخب والضجيج والأصوات المرتفعة المزعجة نتيجة لانتشار ورشات العمل والآلات الصناعية والزراعية وأصوات السيارات والطائرات والقنابل والانفجارات الضخمة. (ربيع و اخرون، ٢٠٠٧م، صفحة ٧٠٢، ٧٠٣)

وقد كثر الكلام في الوقت الحاضر عن التلوث السمعي وما يسببه للإنسان من أمراض تدمر مستقبله ومن ذلك التوتر العصبي، وتغير نبضات القلب، وصعوبة التنفس، كما لها آثار نفسية كالشعور بالضيق والانزعاج. (ربيع و اخرون، ٢٠٠٧م، صفحة ٧٠٢، ٧٠٣)

وقد نهى الإسلام عن التلوث السمعي والبصري والعصبي التي تسببه الأصوات المرتفعة والضجيج اليومي، فالآيات القرآنية تحث المسلم على تخفيض صوته على قدر السامع، قال تعالى ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)) (سورة لقمان: الآية ١٩).

أي أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، فأمره بالاقتصاد في صوته (الطبري، ١٩٨٨م، صفحة ٢١٦/١٠). قال ابن زيد « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» قال: لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير (الطبري، ١٩٨٨م، صفحة ٢١٦). وقال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)) (سورة الحجرات: الآية ٢).

عن قتاده: كانوا يجهرون بالكلام ويرفعون أصواتهم فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك. (الطبري، ١٩٨٨م، صفحة ٣٧٨/١١)

وقد نهى رسول الله عليه السلام عن ترويع المسلم بأي نوع من أنواع الترويع، ومثل هذه الأصوات فيها ترويع للمسلمين، قال عليه الصلاة والسلام:» لا يحل لمسلم

أن يـروع مسـلمًا». (ابـو داود السجسـتاني، ١٩٨٨م، صفحـة ٢/ ٧١٩)

وقـد أثبـت العلـم الحديـث تـضرر حـواس الإنسـان بالصـوت المرتفـع، ومـا شـابه ذلـك مـن منبهـات السـيارات وأجهـزة الكاسـيت، والآلات الموسـيقية الصاخبـة، وإطـلاق النـار في الأعـراس والمناسـبات، وإطـلاق الألعـاب الناريـة والمفرقعـات، حيـث أثبتـت الدراسـات العلميـة أن ظاهرة المفرقعـات الناريـة التـي تزايـدت في الآونـة الأخـيرة تؤثـر سـلبًا عـلى صحـة الصغـار والكبـار.

إن هـذه الظاهـرة غـير الحضاريـة والممنوعـة في كثـير مـن دول العالـم تعمـل عـلى إيـذاء صحـة البـشر نتيجـة إحداثهـا لأصـوات مرعبـة ومفاجئـة تسـبب الخـوف والفـزع ممـا يـؤدي إلى تسـارع في دقـات القلـب، وارتفـاع في الضغـط الشريانـي، ومشـكلات في الأذن والسـمع، وحـدوث سـلس بـولي عنـد الأطفـال.

أن هـذه الظاهـرة تشـكل خطـرًا عـلى النسـاء الحوامـل وخاصـة في الأشـهر الأولى والأخـيرة مـن الحمـل، الأمـر الـذي قـد يـؤدي إلى حـدوث مضاعفـات تهـدد حيـاة الأم والطفـل.

ومثل هذه الأصوات يؤدي إلى انفجار الرئتين وتوقف القلب والوفاة السريعة.

وقـد أشـارت إلى هـذه الحقيقـة العلميـة آيـات متعـددة مـن القـرآن الكريـم منهـا قولـه تعـالى: ((مـا ينظـرون إلا صيحـةً واحـدةً تأخذهـم وهـم يخصمـون فـلا يسـتطيعون توصيـة ولا إلى أهلهـم يرجعـون)) (سـورة يـس: الآيـة ٤٩، ٥٠).

الخاتمة وأهم الوصايا

وبعـد إكمـال البحـث المعنـون (المحافظـة عـلى البيئـة وأثرهـا عـلى صحـة الانسـان في الـتراث العربـي الاسـلامي) اتضـح لنـا ان البيئـة نعمـة كبـيرة مـن نعـم اللـه سـبحانه وتعـالى وعـلى الانسـان ان يحافـظ عليهـا وان التلـوث بـكل انواعـه فسـاد في الارض حذرنـا اللـه مـن عواقبـه الوخيمـة ولزومـا عـلى الفـرد والمجتمـع والسـلطة بحمايـة البيئـة والحفـاظ عـلى مواردهـا الطبيعيـة.

ويجـب البعـد عـن اسـتخدام الغـير الصحيـح لمكونـات البيئـة التـي سـخرها اللـه لنـا لديمومـة الحيـاة وصحة الانسـان.

كمـا دعـا الاسـلام الى نظافـة البيئـة وتجميلهـا ووضـع ذلـك منهاجـا متكامـلا وعـدم الاسراف في اسـتغلال المـوارد الطبيعيـة والبعـد عـن الاسـتخدام الجائـر لهـا.

وان تراثنـا العربـي الاسـلامي يزخـر بمؤلفـات متعـددة عـن البيئـة وسـلامتها ومشـكلاتها والتـي توفـر للإنسـان كل مـا يحتاجـه مـن مسـكن صحـي وشـارع نظيـف وغـذاء جيـد.

ويمكن ان نستنتج ان حماية البيئة والمحافظة عليها دعا اليها الرسول (ص) قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة فهو بحق رائد من رواد الحفاظ على البيئة تلك التي دعا اليها العالم الالماني ارنست هيجل عام ١٨٦٦م.

اهم الوصايا

١- المحافظة على البيئة واجب ديني على جميع افراد المجتمع.

٢- متابعة التوعية الدينية والتربوية للحفاظ على البيئة وعدم التبذير والاسراف لمواردها الطبيعية لديمومة الحياة وصحة الانسان.

٣- سن قوانين في المحافظة على البيئة ومحاسبة المخالفين وملوثي البيئة بأشد العقوبات.

٤- عقد المؤتمرات وندوات الدولية والمحلية والقاء المحاضرات التي تركز على اهمية البيئة وكيفية المحافظة عليها.

المراجع

القرآن الكريم.

ابو الحسن علي بن الحسين. (٢٠٠٧م). مروج الذهب ومعادن الجوهر (المجلد ٢). بيروت: دار كتاب العربي.

ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري مسلم. (٢٠٠١م). صحيح مسلم. القاهرة: دار ابن الهيثم.

ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي. (١٩٦٨م). الموضوعات. (عبد الرحمن محمد عثمان، المحرر) المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني. (١٤١٥هـ). المعجم الاوسط. (عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، و اخرون، المحررون) القاهرة: دار الحرمين.

ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي. (٢٠٠٣م). السنن الكبرى (المجلد ٣). (محمد عبد القادر عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٩٨٨م). جامع البيان عن تأويل اي القران. بيروت: دار الفكر.

ابو زكريا يحيى بن شرف النووي. (١٣٩٢هـ). شرح النووي على صحيح مسلم (المجلد

٢). بيروت: دار احياء التراث العربي.

ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري. (بلا تاريخ). صحيح البخاري. (محمد نزار تميم، و هيثم نزار تميم، المحررون) بيروت: شركة دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة.

ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه. (بلا تاريخ). سنن ابن ماجه. (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) بيروت: دار الفكر.

احمد بن سهل. (٢٠٠٥م). مصالح الابدان والانفس. (د محمود المصري، المحرر) القاهرة.

احمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.

احمد عبد الوهاب عبد الجواد. (بلا تاريخ). المنهج الاسلامي لعلاج تلوث البيئة. دار العربية للنشر والتوزيع.

احمد محمد الديسي. (١٩٩٧م). علم البيئة والعلاقات الحيوية (المجلد ١). عمان: منشورات جامعة القدس.

الحسين بن محمد البغوي. (بلا تاريخ). شرح السنة (المجلد ١). دمشق: المكتب الاسلامي.

جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (١٩٥٥م). لسان العرب (المجلد ١). بيروت: دار صادر.

سليمان بن الاشعث ابو داود السجستاني. (١٩٨٨م). سنن ابي داود. القاهرة: دار الحديث.

شمس الدين ابو عبدالله محمد المقدسي ابن مفلح. (١٩٩٩م). الآداب الشرعية. (شعيب الارنؤوط، المحرر) القاهرة: مؤسسة الرسالة.

عبد الله بن عمر بن محمَّد السحيباني. (بلا تاريخ). أحكام البيئة في الفقه الإسلامي.

عبدالله شحاته. (٢٠٠٦م). رؤية الدين الاسلامي في الحفاظ على البيئة (المجلد ١). دار الشروق.

عطاء الله ربيع، و اخرون. (٢٠٠٧م). الصحة العامة وحماية البيئة. عمان: منشورات جامعة القدس.

علي. (١٩٨٨م). رسالة في الحيلة في رفع مضار الابدان بارض مصر. (رمزية الاطرقجي، المحرر) بغداد: مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد.

علي بن العباس. (١٨٧٧م). كامل الصناعة الطبية. مطبعة بولاق.

عيسى بن يحيى الجرجاني ابو سهل. (بلا تاريخ). المئة في الصناعة الطبية، مخطوطة مصورة في المكتبة الرضوية.

محمد بن ابي بكر شمس الدين. (٢٠٠٩م). الطب النبوي (المجلد ١). (عاطف صابر شاهين، المحرر) القاهرة: دار الغد الجديد.

محمد بن احمد ابن بسام. (١٩٦٨م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة. (حسام الدين السامرائي، المحرر) بغداد: مطبعة المعارف.

محمد رفعت رمضان، و اخرون. (١٩٦٤م). اصول التربية وعلم النفس (المجلد ٥). مصر: دار الفكر العربي.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. (بلا تاريخ). تاج العروس من جواهر القاموس، بنغازي.

نصر الهوريني. (بلا تاريخ). شرح ديباجة القاموس.